الخَزاعل والهَيازِعة او خُزاعة الحاليَّة

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي (تتمَّة)

١٠ لغة الهيازعة في الوقت الحاضر

كانت لغة خُزاعة فصيحةً في سابق الزمن كما يشهد بذلك مشاهير شعراء قبيلتهم ومواليهم « كأبي الشيص ودِعْبل وابن ابي الشيص وداود ابن ابي رزين . ومن مواليهم طاهر وابنهُ عبد الله » (عن الاغاني ١٨ : ٤٤) . واماً اليوم فقد وقع فيها الخلل كما وقع في سائر لغات القبائل العربية . الَّا انَّهُ لا يزال عندهم الفاظ فصيحة تلقَّوها عن اجدادهم وتصاوير عربيَّة محضة . ولكي تطَّلع على حالة لغتهم في هذا الاوان أورد لك هنا بعض ابياتٍ من شعرهم العصري نقلًا عن خليل الابرهيم

يَا مْلِ عَيْنْ كُلْ مَا اَكُـوْلْ نَامَتْ وَالْعَـيْنْ عَيَّتْ مَا تْذُوْكْ مَنَامْ

اي : يا مَلْءَ العين (او يا ايتها العين وما فيكِ من الاعضاء اللازمة للبصر) كُلَّما اقول (كْ = ن في لغة جميع الاعراب) في نفسي واخاطبها : يا نفس ان العين نامت . فلا أرى لهذا الوهم حقيقةً فان العين تعبت (عَيَّتْ) من السهر ولم تَذُقْ نومًا

وَكُلْ مَا اَكُـوْلْ يَا نَفْـسْ كُوْلِي أَهْجِـسْ
يَا رَبْعِي زَادِي حَنْظَلْ وَسَامْ

يعني : وكُلَّما اقول : يا نفس كُلي أشعر يا قوي بان طعم طعامي (زادي) كالحَنْظَل او السام (جمع سمّ كالسموم . وهذه العلامة « التي في آخر لفظة « حنظل » هي تنوين) وتلفظان كضمَّتين ضعيفتين اي كلفظك تقريبًا (hanzaleun)

سَوُّوْا عَلَى حَرْبَا مَكْعَدِيَّه يَا بُوْنْ نَايِفْ وْبَلَّاصْ رْجَالْ دْهَامْ

يريد انَّهم عقَدوا مجلسًا (سَوُّوْا = عملوا . ومكْعَدِيَّه = مقْعَدِيَّة من قَعَد أي جلس . كما ان هذه الكلمة مشتقة من جَلَس) يريدون (يابون = يبغون بمعنى يطلبون . راجع المشرق ٣ : ٤١٦) القَبْض على نايف وبلَّاص وهُما بطلان داهيتان من رجال الشيخ دَهَام

رَاحَتْنَا وَحْنَا عَذَّابِيهُمْ يَا مَا غَزَيْنَا دِيرَهْ وَيْ دِيرَه
وْدِلِّهِـنْ سَاجِرْ بْلِيلْ الدَّجَى وَالظَّلَامْ

اي : لكونهما (يعني نائف وبلّاص) سبب راحتنا . ونمنُ (وحنّا) لذلك سبب عذابهم : فيا ما اكثر الديار (دِيَرَة وَيْ ديرة = ديار واي ديار . او : ديار ثم ديار) التي غزوناها . (الفتحة المقلوبة وهي (ٔ) التي تراها مصوّرة على « غَزَيْنَا » و « وعَيْنَ » و « لَيْل » وغيرها من الالفاظ الآتي ذكرها = é او è او ai الافرنجية . وعليه فالفظ اذًا « غزينا وعين وليل » هكذا : Gazéna و 'ain و lel) وكان الدليل الذي هدانا اليها في ظلمات الليل المدرّبت المعروف باسم « ساجر »

يَكُودُونَ مِنْ سَرْدِ ٱلسَّبَايَا عَلَيْهِنْ وَٱلْخَيْلُ كُنَّلْ وَرْجَابْ هَمَامْ

اي : يقردون (ك = ق) من الخيل الكريمة المتنسة (وهي السبايا بلهنهم) جماعات جماعات متسقة (وهي السرد عندهم) وقد اصبحنَ ضوامر (الكُنَّل = القُفَّل وهي عندهم جمع قافلة ومعناها الخيل الضوامر . وفي اللغة الفصيحة : الخيل القَوَافل : الضَّوامر) لان ركّابها المسام (جمع هُمام) لم يستريحوا قط ولم يريحوها

وَيَا مَا وَرَدْنَا عُكْلَةٌ جَاهْلِيَّةٌ نُطَيِّرْ مِنْ جَالْ ٱلْبِيرْ حَمَامْ

اي : يا ما اغلب الأحيان وردنا آبارًا يجهل اكثرُ بوجودها فنرى الحمام جُثَمًا على جوانبها لعدم اختلاف الناس اليها فتطير عند قدومنا اليها . (العُكْلة = العُقلة . وهي عندهم جماعة حَوَايا او آبار صغيرة متقاربة تمسك ماء السماء واكثر ما يحفرونها على هذه الصورة عند ما تشتدّ حاجتهم الى الماء . وقد تجتمع مياه هذه الآبار في حوض واحد . ومن غريب الاتفاق انّ استعمال هذه اللفظة بهذا المعنى جارٍ عند اهل المغرب جميعهم . واما اهل شرقي الجزائر (في افريقية) فيريدون بالعُقْلة بئرًا يكون بجانبها خيام مضروبة مدة طويلة من الزمان وبجانبها مطامير (جمع مطمورة silo) . ولا شكّ ان هذه اللفظة قديمة في الاستعمال عند الاعراب لشيوعها بين بدو العراق وبدو اهل المغرب والجزائر في افريقية ولذلك فصيحة الّا انها لم ترد في كتب اللغة لان اللغويين لم يقيدوا جميع الشوارد والاوابد وحينئذٍ تكون مشتقة من عَقَلَ الدواء البطنَ : اذا مسكها . وذلك ان بعض الاراضي تمسك المياه عن الغور لبعض خواصّ في رمالها او لوجود انواع من النبت والشجر فيها . كوجود الخَبَر مثلًا لنوع من شجر البادية والرمال . وقد سمّى العرب الاقدمون بِعَقْلة (اي بلفظة مشتقة من هذه المادة ع ق ل) خبراء بالدهناء . قال ياقوت : عَقْلَة : . . . خبراء بالدهناء سُمّيت بذلك لانها تمسك الماء كما يمسك الدواء البطن . قال الازهريّ : وقد رأيتُها وفيها حوايا كثيرة (وفي الاصل المطبوع : خبارى والاصحّ ما اوردناهُ لان الخبارى جمع خبراء وهي القاع تُنبتُ شجر الخَبَر وايضًا منقع الماء في اصول الخَبَر . واما الحوايا فهي جمع حَوِيّة وهي على ما قال في التاج في مستدرك مادّة حوى : حفائر ملتوية يَمْلأُها ماء السماء فيبقى فيها دهرًا طويلًا لانّ طين اسفلها علك صلب يمسك الماء واحدته حَوِيّة ويُسمّيها العرب الامعاء تشبيهًا بحوايا البطن يستنقع فيها الماء . وقال ابو عَمْرو : الحوايا المساطح وهو ان يعمدوا الى الصفا فيحوون له ترابًا وحجارة تحبس طيهم الماء . وقال ابن بري : الحوايا : آبار تُحفَر ببلاد كلب في ارض صلبة يُحبس فيها ماء السيول يشربونهُ طول سنتهم عن ابن خالويه . وقال ابن سيدة : الحوية صفاة يُحاط عليها

بالحجارة او بالتراب فيجتمع فيها الماء. وقال نصر: حوايا: بناء بالصخر كهيئة البركة دون التغلبية بقرب أود. اه. ومن هنا ترى ان ذكر الحوايا أنسب في هذا الموضوع من ذكر الحبارى. وكتاب ياقوت هذا المطبوع في لبسبك كثير الاغلاط لا يستطيع ان يطالعهُ القارئ الا بكل تروٍ وتحفظ — وجا جبال ورمال متفرقة يُقال لها الشاليل. اه كلام ياقوت

اما الجال بمعنى ناحية البئر وجانبها فهي فصيحة

وَيَامَا دَزْنَا سُبُورْ وعَرَّضُوا وَكَالُوا يَا سَاجِرْ جَهَامْ ٱلْكُفَاهْ جَهَامْ

اي: ويا ما اكثر ما ارسلنا (دَزَّ يَدُزُّ: ارسل يُرْسِلُ في لغة اهل السواد كلهِ من بدوٍ وحضر) رُوَّادًا (سُبُور جمع سَبر وهو الرائد والبَصَّاص) وتطوَّحوا (عرَّضوا) في مجاهل الفلوات فجاؤوا وقالوا: يا شَيْخَنَا ساجر ان الاعراب قد نَخِبُوا من رويتنا واصبحوا كَمَن تُرعت منهم قلوبهم وغدوا كالجهام اي كالسحاب الذي لا ماء فيهِ او كالذي اراقَ ماءهُ فلم يبقَ فيهِ شيء. وكذلك حالة من جاء وراءهم فهم ايضًا كالجهام (الكُفاه = الذين قفاهُ اي وراءهُ او بعدهُ فمن « ا » الذين وكُفاه = قفاهُ اي وراء الجهام الاول المرموز بهِ عن جماعة الاعراب الذين قد نَخِبُوا)

كَالْ خُمُوهَا يَا رَبْعَنَا كُبْلْ جَرْفٍ يَكَعْ عَلَيْنَا هَدَامْ

اي: اجاب الشيخ ساجر وقال للرُّواد: ارجعوا واستبطنوا أرضًا نبيلًا (خَمَّ فلانٌ الارض: استبطنهُ. وهي لفظة سوادية) يا رَبْعَنا قَبْلَ (كُبل) ان يَنهارَ (يَكَع = يقع) علينا هَدْمًا جرف بحر أنوائهم فيسحقوننا تحتهُ

لَازْمَ عَنْ خَامَةٍ يُذَرْعُونَهْ وَيِكْصُونْ مِنَّهْ مِيزَرًا وِلْثَامْ

اي: ويجب على الروَّاد ان يعرفوا طول صفّ اقوامهم حتى يأتونا بحقيقتهِ كما لو ذرَعوهُ ذرعًا بثوبٍ (خامة: قطعة من القماش) وحينئذٍ يحجم قومنا على مُقدَّمتهم ومؤخرتهم (وكنى عنهما الناظم باللثام والمئزر) فينصرفون جم تصرُّف الخيَّاط بالثوب

نَاسٍ تَكُولْ عَاتَهْ وَنَاسٍ تَكُولْ تَمَامْ

اي: ومن بعد إن هَجَمَ اصحابُنا عليهم فزَّقوهم كل مُمزَّق اخذ ناسٌ منَّا يقولون: هذه الخامة ناقصة عن المطلوب اي ان هذه الهجمة غير وافية بالمقصود فلقرد في تنكيلهم. وناس منَّا يقولون: هذه الهجمة كافية وافية لا حاجة الى الكرَّة

ومما تقدَّم ذكرهُ نلاحظ الامور الآتية وهي: ١ ان في لغة هؤلاء الاعراب كلمًا فصيحة هي اليوم مجهولة عند كثيرين من الحضَر كقولهم: عَيَ او عيٌ والدَّحى والحيل القوائل وجال البئر والجهام الخ

٢ ان عندهم اثرًا للإعراب وهم لا يتَّخذونهُ الَّا في نظمهم غير انهم حصروا

حالة الرفع والنصب والجرّ في حالة واحدة هي حركةٌ مع تنوينها متوسطة بين الحركات الثلاث فيقولون مثلاً عُكْلة" جاهليّة" فيلفظون تنوين الحرف الاخير كما يلفظ الانكليز (captain). واظن ان سبب ذلك هو انهُ لمّا اضاعوا وجه استعمال كل حالة من حالات الاعراب استعملوا حركةً تكون وسطاً بين الحركات الثلاث حتى اذا قيل لهم: ان هذه الكلمة هي هنا في حالة الرفع. قالوا: ونحن ايضاً نلفظها كذلك. وكذا اذا قيل لهم ان الكلمة هي هنا في حالة النَّصب والجرّ. وقد اصطلحنا على هذه الحركة بعلامة (ُ) اي بنصف سكون مُتَّجِهٍ قرناهُ نحو يمين الكاتب. وهو يساوي e في le الفرنسيّة وتنوينها يكون وسطاً بين التنوينات الثلاثة وهو الذي اصطلحنا عليهِ بعلامة (") ويلفظ مثل eun المختلسة او كما تلفظ ain في كلمة (captain) الانكليزيّة. ولا اتوقّف في القول بان هذه الحركة وتنوينها كانا معروفين منذ القديم عند بعض قبائل العرب الاوّلين. ولنا ادلّة على ذلك بيد انهُ ليس هنا موطن ذكرها

٣ً ان جميع الألفاظ المصغّرة تبتدئ عندهم باسكان الاول كما رأيت ذلك في اسماء بعض قبائلهم وبطونهم وافخاذهم وكذلك ايضاً ما كان من الصفات والاسماء على فَعيل فهو عندهم امّا باسكان الفاء واما بتحريكها بالحركة المتوسطة او المبهمة او المشتركة او المشتبهة او بما تريد ان تسمّيها. وهذا ايضاً قديم عند العرب. ولا غرو ان سبب وزن فصحاء العرب اذا ارادوا ان يحقّروا شيئاً او يُصغّروهُ او يكبّروهُ بميزان « فُعَيْل » اصلهُ « فَعِيل » اشارة الى وزن لفظة « حقير » او « صغير » او « كبير » وتلميحاً الى ما تفيد صيغ هذه الألفاظ. ولمّا كانوا في بادئ الامر يلفظ البعض هذين الوزنين اي فَعِيل وفُعَيْل بصورة واحدة اي باسكان الاوّل او بتحريكهِ بحركةٍ مشتبهة جاءت قبيلة اخرى وميّزت بين ما هو على وزن « فَعِيل » في الاصل (اي بفتح الاوّل) وبين ما هو على « فُعَيْل » في الاصطلاح (اي بضم الاوّل وفتح الثاني) فابقت فَعِيلًا للاول. وفُعَيْلًا للثاني. ولمّا كان هذا التفريق في اللفظ ممّا يُساعد السامع والمتكلّم على فهم معنى الألفاظ بدون تدبّر وتفكّر طويل اتّبع الاغلب هذا الاصطلاح. غير ان قبائل كثيرة من اعراب البادية بقيت ولا زالت باقيةً على الحالة الاولى من اللفظ القديم

٤ً ان الألفاظ الموزونة بميزان « فاعل » اذا اتصلت بتاء الاناث او بحرف آخر

مما كان من ضمير وغيره اسكنوا عين « فاعل » وان لم يكن متصلاً بشيء. حرّكوا العين بهذه الحركة البهمة. فلذا رايتهم يقولون « عايزة » جريًا على القاعدة الاولى وقالوا « ساجر » طردًا على القاعدة الثانية. واظن ان هذا اللفظ ايضًا كان قديمًا عند العرب الاوّلين. ومن اثره اننا نرى الفاظًا جمّة قد وردت على وزن « فَعْل » او « فَعْلَة » وهي بمعنى « فاعل » او « فاعلة » وسبب ذلك انّهم لمّا قالوا في « فاعل » فَاعْل او فَاعِل » حذفوا الالف لالتقاء الساكنين فانتقل الوزن الى « فَعْل » او « فَعْلة »

ولنا دليل آخر على هذا الرأي وهو: انهم جمعوا بعض الألفاظ الواردة على وزان فاعل على أفعال (كانها جمع فَعْل) وجمعوا ما جاء على وزن فَعْل على فَعَلة او فُعَّال كانها جمع فاعل. فمن الاوّل جمعهم طائر وطاهر وشاهد على اطيار وأطهار وأشهاد. ومن الثاني جمعهم عَبد على عَبَدَة وعُبَّاد وعُبَّد

٥ ان النظم عند هؤلاء الاعراب ليس نظمًا صحيحًا بمعنى انّهم لا يتخذون وزنًا من الاوزان (ولو كان من اختراعهم وخالي الوجود في علم العروض) كما رأيت ممّا تقدّم ايرادهُ فانك لا ترى فيه تكرار بيت واحد على الوزن الذي تقدمهُ. بل الشيء الوحيد الذي نراهُ قد بقي عندهم من اثر الشعر القديم وهو وحدة الرويّ لا غير

هذا ما اردنا تبيانهُ وقد أطلنا البحث في هذا الصدد لاننا لم نرَ من يتصدّى لمثل هذه المباحث ويُشبعها كلامًا فقد رأينا كثيرين يجترئون منها بالقليل. فلا يشفون به الغليل. والله حسبنا ونعم الوكيل

المستطرفات المستظرفات

في حياة السيد جرمانوس فرحات

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني الحلبي (تابع)

٦ الرجل

تحت هذا العنوان لستوفي عن حالته الادبية ملخصةً عن آثاره (١ وآثار معاصريه

(١) اخصها بالذكر الديوان ورسوم الكمال ومختصر الكمال المسيحي وشرح رسوم الكمال الخ